التطهير العرقي في إقليم دارفور المضطرب

أصبح أسم دارفور، منذ عشرين سنة خلت، مرادفاً لجرائم الحرب والإبادة الجماعية، التي ترتكبها ميليشيات الجنجويد العربية ضد السكان من ذوي الأصول الأفريقية، من قبائل الفور والمساليت والزغاوة. فقد قُتل ما يقدر بنحو مئتي ألف شخص في الفترة من 2003 إلى 2005. ويبدو أن هذا الأمر قد عاد مرة أخرى، إذ توجد من الأسباب ما يدفع للإعتقاد أن كلا الطرفين يرتكبا جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في سياق التطهير العرقي في إقليم دارفور. ومنذئذ تحول الصراع، الذي اندلع في أبريل 2023، بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، إلى صراع عرقي، مما أثار مخاوف من إمكانية حدوث تطهير عرقي وإبادة جماعية .

وقد تورطت قوات الدعم السريع والميليشيات العربية المتحالفة معها، بما في ذلك الجبهة الثالثة- تمازج، وهي مجموعة مسلحة تسيطر حاليا على جزء من إقليم دارفور، في ارتكاب انتهاكات مروعة ضد السكان من غير العرب بهدف اجبارهم على الأقل مغادرة الإقليم بشكل دائم مما يشكل تطهيرا عرقيًا. ومن بين الانتهاكات المرتكبة نجد القتل الجماعي والاعتقالات التعسفية والتعذيب والاختفاء القسري والاغتصاب .

دارت بعضاً من أعنف المعارك في الجنينة، عاصمة ولاية غرب دارفور، والتي يشكل المساليت أكثر من نصف سكانها. فقد بدأت أعمال العنف في الجنينة بعد أيام قليلة من اندلاع النزاع المسلح في الخرطوم، حيث هاجمت قوات الدعم السريع والجماعات المتحالفة معها أحياء أغلبيتها من المساليت، واشتبكت مع جماعات المساليت المسلحة، التي تدافع عن مجتمعاتها. ترتب على هذه الهجمات نهب وحرق وقصف وتسوية كامل أحياء المساليت النازحين. وحتى بعد هزيمة المساليت المسلحين وفقدانهم السيطرة على أحيائهم، واصلت قوات الدعم السريع والميليشيات المتحالفة معها استهداف المدنيين العزل بشكل ممنهج. و وقعت إحدى أسوأ أحداث الحرب المستمرة في السودان في يونيو 2024 عندما هاجمت قوات الدعم السريع وحلفاؤها قافلة مدنيين، تمتد مسافة كيلومترات، عندما كان الناس يحاولون مغادرة الجنينة يرافقهم مقاتلين من المساليت. وذكرت الأمم المتحدة وجود مخاوف من مقتل نحو 15 ألف شخص في مدينة الجنينة بغرب دارفور العام الماضي وحده. ويثير السياق الخاص الذي وقعت فيه عمليات القتل واسعة النطاق احتمال أن تكون لدى قوات الدعم السريع وحلفائها نية لتدمير مجتمع المساليت كليًا أو جزئيًا في غرب دارفور على الأقل، الشئ الذي يشير إلى وقوع إبادة جماعية متواصلة هناك.

بدأت قوات الدعم السريع، في مطلع نوفمبر 2023، بمهاجمة المقار العسكرية للقوات المسلحة في مدينة أردمتا في غرب دارفور. بعد ذلك، هاجمت قوات الدعم السريع واستولت على معسكر للنازحين في نفس المدينة في الرابع من نوفمبر. وخلال الهجوم على المعسكر، تم استهداف رجال ونساء وأطفال ينتمون إلى مجتمع المساليت، بالإضافة إلى أفراد من القبائل غير العربية الأخرى. وتم إعدام المدنيين في منازلهم وفي الشوارع وأثناء محاولتهم الفرار من المعسكر. ووفقاً لما اوردته المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، قُتل قرابة 800 شخص خلال الهجمات التي وقعت في أوائل نوفمبر في أردمتا. وتقدر تقارير أخرى عدد القتلى (معظمهم من المدنيين) بين 1300 و 2000 شخص، بما في ذلك العشرات الذين قتلوا على الطريق إلى تشاد. وفر ما لا يقل عن 8,000 شخص إلى تشاد، ليلحقوا بحوالي 450,000 شخص، معظمهم من النساء والأطفال، الذين نزحوا بسبب الهجمات في غرب دارفور، لا سيما خلال الفترة بين أبريل ويونيو 2023 .

نفذت قوات الدعم السريع والميليشيات العربية المتحالفة معها، في أبريل، هجمات على حوالي 15 قرية غرب الفاشر، تقطنها في الغالب مجموعة الزغاوة العرقية. وأسفرت هذه الهجمات عن انتهاكات واسعة النطاق لحقوق الإنسان، بما في ذلك عمليات القتل العرقي الجماعي والاختفاء القسري، مما أجبر العديد من السكان على الفرار من منازلهم .
وتم اختطاف مدنيين من مناطق شرق وغرب مدينة الفاشر، عاصمة ولاية شمال دارفور، على أساس عرقي. واستهدفت عمليات الاختطاف أفرادا من قرى مورو وأبو زريقة ومعسكر زمزم للنازحين، بسبب انتماءاتهم القبلية والجهوية. و

تطلب قوات الدعم السريع من عائلات الضحايا دفع فدى وتهدد بالقتل أو التجنيد القسري في حال عدم الإيفاء بدفع المبالغ المطلوبة .
وكانت هناك أيضًا حوادث اتُهم فيها الجيش باستهداف المجتمعات العربية بشكل ممنهج. وأفاد المركز الأفريقي لدراسات العدالة عن حادثة قامت فيها القوات الجوية بقصف جوي لمنطقة الكومة، وهي منطقة تسكنها في الغالب مجموعة الزيادية العربية، مما أدى إلى مقتل 63 مدنيا وإصابة حوالي 250 آخرين .

خاتمة
وعلى الرغم من توجيه أصابع الاتهام للجيش السوداني أيضا باستهداف المجتمعات العربية، إلا أن هذه الأحداث معزولة إلى حد ما مقارنة بالإبادة الجماعية والتطهير العرقي الممنهج الذي ترتكبه قوات الدعم السريع والجماعات المتحالفة معها. بالإضافة إلى ذلك، فإن الهجمات التي تشنها قوات الدعم السريع وميليشياتها المتحالفة، خاصة في شمال دارفور، تمتد آثارها خارج حدود السودان. وذلك لأن قبيلة الزغاوة في شمال دارفور يمتد وجودها إلى تشاد، وبالتالي فإن الصراع القبلي في شمال دارفور يمكن أن يجذب المقاتلين التشاديين. إذ أن أفراد الزغاوة من القرى التشادية المتاخمة للسودان مسلحون تسليحا عاليا وقد يتورطوا في الصراع الدائر في شمال دارفور. ولهذا فإن الوضع في دارفور يتطلب تحركاً عاجلاً من كافة الحكومات والمؤسسات الدولية لحماية المدنيين .

أعداد: شارون آشا أوجيما
مساعد برامج، قسم الرصد والتوثيق
المركز الأفريقي لدراسات العدالة والسلام.